الصاعقة الحادية والخمسون: أرَكائبَ الأحبابِ إنَّ الأدمعا(*)

أرَكـائبَ الأحـبـابِ إنَّ الأدمـعَـا ... تطِسُ الخدودَ كما تطِسْنَ اليرْمَعا(١)

فـاعْرِفْنَ من حـملتْ عليكنّ النوى ... وامـشينَ هونًا في الأزمّـةِ خُـضَّـعَـا

قـد كـانَ يمنعني الحـيـاءُ من البُكا ... فـالـيـومَ يمنعُـهُ البُكا أن يمنعَـا

حـتـى كـأنّ لـكلّ عظمٍ رنّةً ... في جلدهِ ولكلِّ عـرْقٍ مـدمـعَـا

وكـفى بمنْ فـضحَ الجدايةَ فـاضـحًا ... لُمحـبّـهِ وبمصـرَعي ذا مـصـرَعَـا(٢)

سـفرَتْ وبرقَعَـها الفراقُ بصُفـرةٍ ... سـترتْ محاجـرَها ولم تكُ بُرقُعَا

فكأنهـا والدمعُ يقطُرُ فـوقَـهـا ... ذهبٌ بسـمطيْ لؤلؤٍ قـد رُصّـعَـا

نشـرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شـعـرِها ... في ليلةٍ فـأرتْ ليـالي أربعَـا

واستقبلتْ قمرَ السماءِ بوجهِها ... فـأرتْنيَ القـمـرينِ في وقتٍ مَـعَـا

رُدّي الوصـالَ سقى طُلولكِ عـارضٌ ... لو كـانَ وصلُكِ مـثلَهُ مـا أقـشَـعَـا

زجـلٌ يـريـكِ الجـوَّ نـارًا والملا ... كـالبـحـرِ والتلعـاتِ روضًـا ممرعـا(٣)

كـبنانِ عـبـدِ الواحـدِ الغـدقِ الذي ... أروى وأمّـنَ منْ يـشـاءُ وأجـزَعَـا

ألـفَ المروءةَ مـذْ نشـا فكأنهُ ... سُقيَ اللّبـان بهـا صـبيًّـا مُرضَـعَـا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عبدالواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب.

(١) الوطس: الضرب القوي. اليرمع: حجارة رخوة.

(٢) الجداية: الغزال.

(٣) الزَجِل: المصوّت. الملا: الصحراء. الممرع: المخصب.

نُظمتْ مواهبُهُ عليه تمائمًا ... فاعتادها فإذا سقطن تفزّعَا

ترك الصنائعَ كالقواطعِ بارقا ... تٍ والمعالي كالعوالي شُرّعَا

متبسّمًا لعُفاته عن واضحٍ ... تغشى لوامعُه البروقَ اللّمّعَا[1]

متكشّفًا لعداته عن سطوةٍ ... لوْ حكّ منكبُها السماءَ لزعزعَا

الحازمَ اليقظَ الأغرَّ العالمَ الـ ... ـفطنَ الألدَّ الأريحيَّ الأروعَا[2]

الكاتبَ اللبقَ الخطيبَ الواهبَ الـ ... نّدسَ اللبيبَ الهبرزيّ المصقعَا[3]

نفسٌ لها خُلقُ الزّمانِ لأنه ... مُفني النفوسَ مفرِّقٌ ما جَمَّعَا

ويدٌ لها كرمُ الغمَامِ لأنهُ ... يسقي العمارةَ والمكانَ البَلقعَا[4]

أبدًا يُصدّعُ شعب وفرٍ وافرٍ ... ويلُمُّ شَعْبَ مكارمٍ مُتَصَدّعَا

يهتزُّ للجدوى اهتزازَ مُهنَّدٍ ... يومَ الرّجاءِ هززتَهُ يومَ الوَغى

يا مغنيًا أملَ الفقيرِ لقاؤُهُ ... ودُعاؤُهُ بعدَ الصلاةِ إذا دَعَا

أقصرْ ولستَ بمقصرٍ جُزتَ المدى ... وبلغتَ حيثُ النجمُ تحتكَ فاربَعَا

وحللتَ منْ شرفِ الفعالِ مواضعًا ... لم يحللِ الثقلانِ منها موضعَا

وحويتَ فضلهُما وما طمعَ امرؤٌ ... فيه ولا طمِعَ امرؤٌ أن يَطمَعَا

---

(١) العفاة: السائلون. الواضح: الثغر. تغشى: تغطّي.

(٢) الأريحي: واسع الخلق.

(٣) النَّدس: الفَهِم. الهبرزي: الوسيم. المصقع: البليغ.

(٤) العمارة: الأرض المأهولة. البلقع: الخالي.

نفـذَ القـضـاءُ بما أردتَ كـأنهُ ... لك كلَّمـا أزمـعتَ أمـراً أزمَـعَـا

وأطاعَكَ الدّهرُ العـصيُّ كـأنَّهُ ... عـبـدٌ إذا ناديتَ لبّى مُـسـرِعَـا

أكلتْ مـفـاخـرُك المفـاخـرَ وانثَنَتْ ... عن شـأوهنّ مطيٌّ وصـفي ظُلَّعـا

وجرينَ جري الشمسِ في أفلاكِها ... فـقطعنَ مـغـربَها وجُـزن المطلعَا

لو نيطتِ الدنيـا بأُخـرى مـثلِهـا ... لعـمـمنَهـا وخـشين أن لا تقنَعَـا

فـمـتى يُكذَّبُ مُـدّعٍ لك فـوقَ ذا ... واللهُ يشـهـدُ أن حـقًّـا مـا ادّعَى

ومـتى يُؤدّي شـرحَ حـالِكَ نـاطِقٌ ... حَـفِظَ القَليلَ النّزرَ مما ضَـيّـعَـا

إنْ كـان لا يُدعى الفـتى إلا كَـذا ... رجـلاً فـسمِّ الناسَ طُرًّا إصـبَـعَـا

إن كـانَ لا يسـعى لجـودٍ مـاجِـدٌ ... إلا كـذا فـالغـيثُ أبخلُ منْ سَـعَى

قـد خلَّفَ العـبـاسُ غُـرّتكَ ابنَهُ ... مـرأى لَنا وإلى القـيـامةِ مَـسـمَـعَـا